"نشأة الكلية المعمارية ووظائفها خلال العصر العثمانى"

محمود السيد محمد محمد؛ مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية، بكلية الآثار، جامعة سوهاج.
mahmoudalsayed2010@gmail.com
أ. د. حمزة عبد العزيز بدر، أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية المتفرغ - بكلية الآثار - جامعة سوهاج.
أ. د. فهيم فتحي إبراهيم، أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية - بكلية الآثار - جامعة سوهاج - ووكيل كلية الآثار لشئون التعليم والطلاب.

ملخص

تعد الكلية المعمارية ظاهرة فريدة فى تاريخ التصميم الحضارى للمدينة، لكونها تحتوى على مجموعة من الوظائف المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة والمتجانسة مع بعضها البعض، وأنها في الأصل مؤسسة دينية لم تكن بمعزل عن الحياة اليومية للمدينة، بل تمثل المركز للأنشطة المختلفة لها. ونظرًا لكبر الموضوع؛ فجاءت هذه الدراسة مقتصرة فقط على إبراز تعريف شامل للكلية ونشأتها، وتوضيح مدى علاقتها بالمنشئ، وتصنيف مرافقها المختلفة، وكشف النقاب عن مراحل تطورها حتى وصولها إلى قمة التطور في العصر العثمانى، وإلقاء الضوء على وظائفها المختلفة سواء كانت دينية أو إجتماعية أو إقتصادية أو سياسية.

كلمات مفتاحية: الكلية المعمارية، الكلية المعمارية، وظائف الكلية، العمارة العثمانية.

Abstract:

The Architectural Complex is a unique phenomenon in the history of the urban design of the city, as it contains a set of functions related to different aspects of life and homogeneous with each other. originally, it is a religious institution that was not in isolation from the daily life of the city, but rather represents the center of its various activities. This topic us very broad; however This study highlights a comprehensive definition of the Complex and its origins, clarify the extent of its relationship to the originator, classify its various facilities, reveal the stages of its development until it reached the peak of development in the Ottoman era, and shed light on its various functions, whether religious, social, economic or political.

مقدمة

يُطلق على الكلية فى اللغة التركية بـ (**Külliye**)، وفى اللغة الإنجليزية (**Complex**)، وفى اللغة العربية بـ (المجمع أو المجموعة). وتعد الكلية المعمارية ظاهرة فريدة فى تاريخ التصميم الحضارى للمدينة؛ لكونها تحتوى على مجموعة من الوظائف المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة والمتجانسة مع بعضها البعض، وأنها في الأصل مؤسسة دينية لم تكن بمعزل عن الحياة اليومية للمدينة، بل تمثل مركز الأنشطة المختلفة بها، علاوة على أنها فى كثير من الحالات تمثل مولد الحياة الحضرية داخل المدن، وهذا يعنى أن إنشاء كلية فى مكان ما سوف ينمو معها التنمية والتطور الحضارى، وبسبب هذه الحقائق تقدم الكلية دراسة حالة جيدة للمدينة العثمانية ونسيجها الحضارى.

أولاً: تعريف الكلية (Külliye):

تُعرف الكلية (**Külliye**) بصفة عامة بأنها عبارة عن مجموعة من الأبنية، تقوم بوظائف مختلفة سواء كانت دينية أو تعليمية أو إجتماعية أو تجارية، وتتشكل حول مسجد أو مدرسة أو مبنى تجارى أو تربة (آصلان آبا، 1987) (Kuran, 1971) (İPEKOĞLU, 1993))، لتُشكل في النهاية مجموعة معمارية، وهى ما تُعرف عند الأتراك بالكلِّية (**Külliye**). كما تُعرف بصفة خاصة بأنها "عبارة عن تنظيم اجتماعى يتم التخطيط له وتشييده بحيث يضم مبانى مختلفة الوظائف"(Gönül, 2018). ولقد اختلف الباحثون فى تعريف ومفهوم الكلية وهذا ما يتضح من خلال التعريفات التالية؛ فطبقًا "ÇOBANOĞLU" "هى عبارة عن مجمع من الأبنية ذات أغراض مختلفة تتمركز حول المسجد" (ÇOBANOĞLU, 2002)، وذكر "Goodwin" بأنها "منشآت تعليمية وخيرية معتمدة على المسجد"(Goodwin, 1971)، بينما عرفها "Aptullah Kuran " بأنها "مجمع الأبنية"(Kuran, 1971).

فضلاً عن الدراسات التى أجريت على الكليات المعمارية التى ركزت على الخصائص الوظيفية والمعمارية وقاموا بتحديد الكلية وفقاً لذلك، حيث يذكر "**Hakky**" أن الكلية المعمارية لكى يُمكننا أن نُطلق عليها مجموعة معمارية بشكل صريح، لابد أن تضم ثلاث منشآت أو أكثر من أنواع الأبنية المختلفة ذات الأغراض المتنوعة، ويُشترط أن تكون مُشيدة من قبل شخص واحد. وقسم المجموعات المعمارية إلى (مجموعة معمارية - وأبنية مُجمعة) وأوضح أن الإختلاف بينهما كبير؛ فالبناء المُجمع يمكن أن نطلق عليه مصطلح مُجمع فى حالتين: إما أن يكون عبارة عن مجمع من الأبنية والوحدات التي شُيدت من قبل أكثر من منشئ، وفى فترات زمنية مختلفة أو أن يكون عبارة عن منشأتين أو وحدتين، يُمثل المسجد إحداها؛ فيكون البناء مسجدًا ومدرسة مثلًا، أو يكون مسجدًا وضريحًا، أو مسجدًا وسبيلًا، أو مسجدًا وأى منشأة أخرى (Hakky, 1992).

فى حين يرى "**İpekoğlu**" أن الكلية المعمارية هى مجموعة من الأبنية ذات الأغراض والوظائف المختلفة، التي تتجمع حول المسجد، والتى يُمكن أن تُشيد في وقت واحد أو على مدار عدة سنوات، طالما يُشترط أن تكون منذ البداية مُخطط لها أن تكون كلية، كما يمكن أن يُطلق عليها أنها كلية من الأبنية التى تجمعت على مدار الأعوام المختلفة، حول بناء أصلى سواء كان مسجدًا أو أى بناء آخر(İpekoğlu, 1993).

وبالنظر إلى التعريفات السابقة نجد أنها اتخذت المسجد أساسًا فى إنشاء الكلية علاوة على تميزها بالعمومية، ومن هنا يجعلنا نتساءل هل الأبنية التى تجمعت فى أوقات مختلفة تعد كلية؟ وهل المسجد هو أساس نشأة الكلية؟ وهل ويشترط وجوده فى الكلية؟ وما عدد الأبنية التى يطلق عليها مصطلح كلية؟ وهل يشترط للكلية بناؤها فى وقت واحد ولشخص واحد؟ وهل يخطط للكلية منذ البداية؟ وهل يمكن إطلاق مصطلح كلية على كتلة بنائية تؤدى أكثر من وظيفة؟

في البداية يلاحظ أن رأى "**Hakky**" يفتقد إلى بعض النقاط المهمة، لعل أهمها أن المُجمع كلمة مُحدثة ولفظ مُجمع أو مجموعة من الجمع، أي جمع المتفرق جمعاً وضمه إلى بعضه ، وهى للدلالة على المؤسسة التي تنهض باللغة أو العلوم أو الفنون ونحوها، وبذلك تكون عبارة عن مجموعة من المعاهد العلمية، وتسمى كُليّات تُدرس فيها أنواع العلوم المختلفة (المعجم الوسيط، 2004) ، وعليه فإن كلمة المجموعة أو المُجمع أو الكُلية يُقصد بها الشيء نفسه، ولا نجد أى تداخل أو اختلاف بينهم (هالة، 2015). ومن هنا يمكن القول أن الأبنية التى تجمعت فى فترات متتالية يطلق عليها كلية.

أما كون المسجد يمثل النواة والأساس للكلية فهذا قد اتُّخذ بالفعل بحيث يكون النواة والمركز لها، إلا أنه مع مرور الوقت ومع كثرة أعداد المساجد فى المدينة لم يعد يشترط أن يبدأ بناء الكلية بالمسجد أو يشكل جزءًا منها، ويمكن رؤية ذلك فى كلية خواند خاتون (669هـ/1270م) فإن الكلية بدأت بتشيد الحمام. كما أن هناك أمثلة مجمعة حول تربة وإلى مثل كلية سيد بطال غازى فى إسكى شهير ترجع إلى القرن 13م، كلية الحاج بكتاش والى فى نيوشهير القرن 14م (YÜKSEL, 2014).

أما بالنسبة للرأى القائل أن الكلية المعمارية تزيد عن بنائين أو وحدتين فهو الأكثر قبولًا بغض النظر عن شروط "**Hakky**" بأن يكون مشيدها شخص واحد وخلال فترة زمنية واحدة؛ ذلك لأن العديد من الكليات قد بدأ فى تشييدها سلاطين ووافتهم المنية فأكملها أولادهم، وأضاف عليها أحفادهم، مثال على ذلك كلية نور عثمانية بإستانبول التى بدأها السلطان محمود الأول عام 1748م، وأكملت على يد ابنه ثم حفيده السلطان عثمان الثانى عام 1755م، وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتبة وتربة وسبيل.

علاوة على ذلك فإن "**Hakky**" ذكر أن المُجمَّع يتكون من منشأتين يُمثل المسجد إحداها، الأمر الذى جانبه الصواب فيه؛ ذلك لأن العديد من المُجمعات، لا تضم المسجد وحدة من وحداتها، ومن الأمثلة بيمارستان وضريح السلطان عز الدين كيكاوس الأول بمدينة سيواس (617هـ/ 1220م)، يضم بيمارستانًا وضريحًا، ولا يوجد بالمنشأه مسجد(هالة، 2015). وفى الحقيقة أن نوع الأبنية فى الكلية المعمارية يرجع إلى مُشيدها، وما يراه مناسبًا طبقًا لاحتياجات المنطقة من مساجد أو مدارس أو ما شابه، وما يُقدمه وينفقه في أوجه البر والخير، وفيما يراه من حاجة الدولة لنوعية هذه المنشآت.

أما عن اشتراط بعض الباحثين (Akozan, 1969) لإطلاق لفظ "كلية" لابد أن يكون مخططًا لها منذ البداية على أن تكون كلية، مثل كلية بايزيد يلدريم ببورصة (1395-1390م) ، وكلية يشيل ببورصة (1414- 1424م)، وكلية الفاتح بإستانبول (1471-1463م)، وكلية بايزيد بأدرنة (1488-1484م)؛ فإننا لا نستطيع الحسم فى هذا الأمر بشكل قاطع؛ فيرى الباحث أن معظم الكليات مخطط لها منذ البداية ولكن هذا لا يمنع من وجود كليات تشكلت مع الإضافات التى أدخلت على مر الزمن مثل التجمع الذى حدث حول أولو جامع ببورصة.

ووفقاً للتصنيف الذى قام به "**İpekoğlu** " للأبنية المُجمعة فى الأناضول المقسم إلى ثلاثة طرز؛ هى: **البناء الواحد المتعدد الوظيفة** مثل مدرسة قره طاى بقونية التى ترجع لعام (٦٤٩هـ /١٢٥١م)، وهذا ما تأثرت به مصر فى العصر المملوكى مثل مجموعة الظاهر برقوق بالنحاسين (788-786) **(شكل1)**، ومجموعة السلطان قايتباى بالصحراء (877هـ- 1472م) **(شكل2)**. و**الأبنية المتعددة الوظائف** مثل مسجد ومدرسة حاجى قليج بقيصرى (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) **(شكل3)**، وقد ظهر ذلك في مصر في مجموعة السلطان المنصور قلاوون (683هـ/ 1284م) **(شكل4)**. و**الأبنية التى ترجع إلى فترات زمنية متتالية وشكلت كلية معمارية** (İpekoğlu, 1993)، مثل مسجد علاء الدين بقونية (617هـ/1220م)، ومجموعة صاحب عطا بقونية (682هـ/ 1283م)؛ يمكن إطلاق مصطلح كلية على الكتلة البنائية التى تؤدى أكثر من وظيفة.

وعلى أيه حال فإن الأتراك يفضلون تعريف الكلية على أنها مجموعة من الأبنية المستقلة التى بُنيت فى الوقت نفسه حول مسجد، وتقوم بوظائف دينية وتعليمية واجتماعية(Akozan, 1969).

والجدير بالذكر أنه تمت الإشارة للكلية فى الوثائق باسم (**العمارة**)، وهذا ما يتضح من خلال نص الوثيقة التالى: (... **ما بناه في باطن محروسة أماسيه صينت عن القلوب القاسية بنى عمارة عامرة رفيعة البنيان...**) (Vakfiye 2113). ويذكر "**Abdulkadir** " أن مصطلح (العمارة) يستخدم بطرق مختلفة؛ حيث أطلق بدلًا من الكليات، وكذلك بدلًا من المساجد ذات التابخانة متعددة الوظائف، وكبديل لمبنى واحد - العمارت - كما هو مذكور فى النقوش العثمانية المبكرة (Abdulkadir, 2003). ويذكر "**Gönül**" أن مصطلح (العمارة) أطلق أحيانًا على الأبنية ذات الوظائف المتنوعة، وتحل محل الكلية أو المجمع فى عصرها (Gönül, 2018). ولكن المتعارف عليه حديثًا أن مصطلح (أمارت أو عمارت **imaret**) يطلق على دار المرق أو دار الحساء؛ لذلك يمكن القول أن مصطلح (العمارة) اختلف مدلوله تبعًا لوثيقة الوقف وثقافة العصر.

ثانياً: منشئ الكلية:

تفاوتت الفئات المشيدة للكليات المعمارية ما بين السلاطين ونسائهم والوزراء وكبار رجال الدولة والأمراء والعلماء والدراويش وبعض الطبقات الأخرى؛ فكانت الكليات المعمارية انعكاسًا للحالة الاقتصادية للمنشىء ومكانته الاجتماعية، من خلال ضخامتها أو صغرها، ومواد البناء المستخدمة، ومدى زخرفتها، وعدد العمال القائمين على خدمتها، ومقدار أجورهم، وكذلك حجم الأوقاف الموقوفة عليها، فنجد كليات السلاطين تتميز بالضخامة والزخارف الثرية وكثرة العمال والأوقاف الموقوفة عليها، مثل كلية الفاتح فى إستانبول (867هـ/1462م) **(شكل5)**، وكلية بايزيد الثانى بإستانبول (907هـ/1501م)، وكلية السليمانية بإستانبول (964هـ /1557م) **(شكل6)**، وكلية السليمية بأدرنة (982هـ / 1575م) **(شكل7،8)**.

وكليات لوزراء مثل روم محمد باشا الصدر الأعظم للسلطان محمد الفاتح، والوزير شمسى أحمد باشا **(شكل9)** الذى نشأ وتربى في عصر السلطان سليمان القانوني وعين صدرًا أعظم في عام (986هـ/ 1579م)، وموظفين فى الدولة مثل قرا داود باشا، الذي لقب بـ " قرا داود باشا" في عصر السلطان بايزيد الثاني وعين بوظيفة نيشانجي عام (893هـ / 1488م)، وأمين زاده الحاج أحمد أغا مراقب في الترسانة البحرية تحت حكم السلطان أحمد الثالث، وأبناء سلاطين مثل السلطانة مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانونى، وزوجات وأمهات سلاطين مثل نوربانو سلطان الزوجة الأولى للسلطان سليم الثانى وأم السلطان مراد الثالث، والسلطانة " **كوسم kosem**" زوجة السلطان أحمد الأول ووالدة السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم المجنون وحفيدها محمد الرابع، وكولنوش والدة سلطان أم السلطان أحمد الثالث (1703 - 1730م)، ومهرشاه أمينة سلطان أم السلطان مصطفي الثالث، وربيعة سلطان أم السلطان عبد الحميد الأول (1203-1187هـ / 1773- 1788م) (محمود، 2018).

وتجدر الإشارة أن موقع الكلية تأثر بمكانة المنشئ؛ مما أثر على توزيع الكليات على الدولة بصفة عامة وعلى المدينة بصفة خاصة، حيث تمثل الكلية الشبكة الإقليمية للدولة، فنجد كليات صغيرة تتناسب مع منشئيها تنتشر فى المناطق الفرعية، وكليات كبيرة يقوم ببنائها السلاطين وكبار رجال الدولة، تمثل البؤر الوظيفية للمدينة بأكملها بالإضافة إلى كونها مراكز أحياء(Serkan, 2017)، علاوة على ذلك فإن عدد الأبنية ووظائفها وحجمها يختلف باختلاف الحالة الاقتصادية للمنشئ.

ثالثاً: مرافق الكلية:

تضم الكلية مرافق متنوعة يختلف عددها ووظائفها باختلاف موقعها ووقتها ومنشئها ويمكن تصنيفها على النحو التالى: أبنية دينية مثل(المساجد والمدارس والتكايا والكتاتيب والزوايا)، وأبنية جنائزية مثل(الترب والروضة

وشواهد القبور)، وأبنية خيرية مثل (التابخانة والأسبلة والبيمارستان والحمام والعمارت)، وأبنية تجارية مثل (الخانات والأسواق).

رابعاً: تطور الكلية:

فى بادئ الأمر نذكر أن المنشآت المعمارية تنوعت بتنوع وظائفها، والتى انبثقت أصلاً من وظائف المسجد، وتطورت مرتبطة بظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى الفترات الزمنية المتتالية، ومن هنا جاءت المساجد والمدارس والتكايا والحمامات والخانات وثكنات الجنود وغيرها لتلبية حاجات المجتمع الدينية والتعليمية والاجتماعية والحربية والاقتصادية (عبد الستار، 2000). وكذلك إذا تتبعنا تطور العمارة الإسلامية وجدنا أن المسجد حجر الزاوية فيها(سعاد، 1971).

ولهذا يعد المسجد النبوى النموذج الأول فى العمارة الإسلامية الذى يمكن اعتباره المقدمة الطيبة والنموذج الأول للمجمعات الإسلامية، وقد ضم بداخله مسجد الرسول ومسكنه، ثم تحولت الحجرة التى كان يقطنها إلى مدفن له (كريزويل،1984). كما كان المسجد فى بداية الفترة الإسلامية المبكرة يقوم بالوظائف المتعددة كقاعة صلاة وقاعة اجتماعات ومدرسة ودار ضيافة، وقد نهج الخلفاء المسلمين والحكام النهج نفسه عند قيام دولة جديدة فأنشئوا مسجدًا جامعًا مورست فيه غالباً الأغراض الوظيفية آنفة الذكر(صادق، 2015).

ومع مرور الوقت وانتشار الإسلام وتعقيد المجتمع الإسلامى، اتجهت كل الوظائف التقليدية للمسجد لتكون مبنى خاصًّا، هذه الأبنية المستقلة الجديدة شكلت النواة للخدمات التى ينمو المجتمع حولها(Hakky, 1992)؛ ففى العصرين الأموى والعباسى ظهرت (**دار الإمارة**) كوحدة مستقلة المتمثلة فى القصر(ÇOBANOĞLU, 2002).

ثم بدأت فكرة إنشاء المدارس فى الشرق الإسلامى عندما مهد لظهورها بعض المدرسين الذين أقاموا **المدارس** الخاصة بهم لإملاء الحديث وتدريس الفقه (أبو الفتوح،1980)، ثم ظهرت أول مرة فى خراسان بإيران، ثم بالعراق وسوريا ثم مصر، أما فى الأناضول فقد انتشرت على يد الدول المسلمة، ومنها الدانشمنديين والأرتقيين والسلاجقة والإيلخانيين وملوك الطوائف أو البكوات.

وقد ظهرت أيضاً وحدات خاصة بعلاج المرضى تعرف باسم **البيمارستان؛** ويذكر **"المقريزى"** أن أول من بنى بيمارستانًا فى الإسلام كوحدة معمارية قائمة بذاتها هو الوليد بن عبد الملك عام 88هـ، وجعل فيه الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين، وجعل لهم النفقات، ثم أنشأ الخليفة هارون الرشيد أول بيمارستان بمعناه المتعارف عليه فى بغداد عام 193هـ، وأحضر له الأطباء من إيران، وأول بيمارستان شيد فى مصر كان على يد أحمد بن طولون فى مدينة القطائع عام 261هـ (المقريزى،1987).

والجدير بالذكر أن المستشفيات والمدارس التعليمية الزنكية مثل بيمارستان نور الدين محمود بدمشق (549هـ/ 1154م) تعد من التأثيرات الزنكية على العمارة السلجوقية فى بلاد الأناضول، وكان التأثير فى التخطيط والوظيفة، ويرجع أقدم بيمارستان (دار الشفاء) فى بلاد الأناضول إلى جوهر نسيبه سلطان بقيصرى (602هـ/ 1205م)، وملحق به مدرسة للطب شيدها غياث الدين كيخسرو الأول **(شكل10)**.

كما انبثقت منشآت خاصة **بالتصوف** يطلق عليها الزاوية أو الخانقاة أو التكية (سامح،1950), وقد اختلفت الآراء حول تفسير المصطلحات الثلاثة, غير أن ما يعنينا في هذا المقام أنه لا يوجد خلاف بينها من حيث الوظيفة التي تؤديها؛ فكلها منشآت أقيمت للصوفية منذ القرن(4هـ / 10م) أو قبله بقليل؛ وبناءً علي ذلك فإن هذه المصطلحات

الثلاثة إنما هى مترادفه؛ فالزاوية هى اللفظة العربية التي أطلقت علي تلك المنشآت, والخانقاة هى اللفظة الفارسية, أما التكية فهى اللفظة التركية (الحداد،2002).

أما بالنسبة **للحمامات** العامة فقد كانت مألوفة لدى الأمم السابقة كاليونان والرومان وغيرهما، وسرعان ما ظهرت في الحضارة الإسلامية، وشجع ظهورها دعوة الإسلام إلى الطهارة وفريضة الغسل والوضوعن وحالة الترف والرقى التى عرفها خلفاء بنى أمية الذين أقاموا الحمامات في قصورهم وفى البوادى، ومن أقدم الحمامات التى وصلتنا تلك التى اكتشفها الأثريون في بلاد الشام وهى التى أنشأها خلفاء بنى أمية؛ مثل حمام قُصير عمره المرجح تاريخه لعام (92هـ/ 711م)، وحمام الصرخ ما بين (725 – 730م)، وقد تعددت وظائف الحمام؛ فمنها الطهارة والنظافة والتزين والتداوى والعلاج من المرض والنفاس.

وهكذا أصبح لكل وظيفة منشأة مستقلة تلبى الغرض من إنشائها حتى بدأت الإرهاصات الأولى لفكرة إنشاء الكلية المتمثلة في إلحاق الضريح بالمنشأة، والتى عرفت فى سوريا فى العصر الزنكى، وأصبحت سمة سائدة فى منشآتهم فى بلاد الشام، وورثها عنهم الأيوبيون، ثم انتقلت إلى مصر وبلاد الأناضول. ومن الأمثلة على ذلك المدرسة النورية فى دمشق (540هـ/ 1145م)، وانتقلت إلى بلاد الأناضول بتأثير زنكى، وأصبحت من الثوابت فى جميع المنشآت كالمدارس والمستشفيات والمساجد والكليات وبعض الخانات، ومن أمثلة ذلك الضريحان المشيدان فى جامع علاء الدين بقونية (616هـ/ 1219م) (أسماء، 2013).

وظهرت فى مصر عند إلحاق قبة الصالح نجم الدين أيوب بمدرسته فى القاهرة التى تقع فى نهاية الطرف الشمالى الغربى لواجهة المدرسة وتشكل معها وحدة متكاملة، وهى من إنشاء زوجته شجر الدر عام (648هـ/ 1250م)، أما المدرسة الصالحية فقد أنشأها الصالح نجم الدين أيوب عام (641هـ/ 1243م) **(شكل11)** (أحمد،2009).

ثم تطور الأمر بتعدد الغرض الوظيفى؛ فجاءت المدارس الزنكية والأيوبية ببلاد الشام تحتوى على مسجد يفتح على الصحن المشترك بينهما، ومن الأمثلة على ذلك المدرسة النورية الكبرى فى دمشق (567هـ/ 1172م)، وانتقل هذا التخطيط إلى بلاد الأناضول فى كلية حاجى قليج فى قيصرى (647هـ /1249م) (أسماء، 2013).

ومما يؤخذ فى الاعتبار أنه لم يقتصر تعدد الغرض الوظيفى فى المنشأة الواحدة على المسجد والمدرسة؛ بل كانت هذه هى البداية التى استقى منها المعمار فى الأناضول فكرة الجمع بين أكثر من وظيفة؛ فجمع بين المدرسة والمستشفى كما فى مدرسة ومستشفى جوهر نسيبه سلطان فى قيصرى (602هـ/ 1205م)، وتتكون الكلية من بيمارستان يقع بالجهة الغربية، ومدرسة لتعليم الطب بالجهة الشرقية، يتصل بطرفها الشمالى الشرقى ضريح الأميرة جوهر نسيبة (هالة، 2015)، وجمع بين المسجد والمستشفى والضريح كما فى مجمع حاجى قليج فى قيصرى (647هـ/ 1249م)، وجمع بين أربع وظائف كما فى جفته منارة فى أرضروم (635هـ/ 1237م) وتضم مدرسة ومسجد وضريحاً وسبيلاً وفى كلية خواند خاتون فى قيصرى (636هـ/ 1238م) التى تضم مسجدًا ومدرسة وضريحًا وحمَّامين **(شكل12)** (أسماء، 2013). وظهرت فى مصر خلال العصر المملوكى البحرى فى مجموعة المنصور قلاوون التى تقع بشارع المعز لدين الله أمام القبة الصالحية التى أمر بإنشائها السلطان الملك المنصور قلاوون عام (684هـ/ 1285م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وقبة ضريحية وبيمارستان(أحمد،2009).

وهكذا تطور الأمر حتى وضع السلاجقة البذرة التى أنبتت الكلية المعمارية الواحدة التى تخدم أغراضًا وظيفية متعددة نتيجة لممارستهم العلمية، وذلك عن طريق عمائر متعددة خصصت كل واحدة منها لغرض وظيفى مختلف بالرغم من اندماجها جميعاً فى كتلة معمارية واحدة. ومما ساعد على ذلك حب السلاطين السلاجقة أن يدفنوا فى تربة ملحقة بمدرسة أو قريبة من إحدى المدارس؛ حتى يداوم الناس على تلاوة القرآن الكريم والترحم عليهم (صادق،2015).

فكانت كلية خوند خاتون بقيصرية (636هـ/ 1238م) أول كلية معمارية لسلاجقة الأناضول تتكون من مسجد جامع ومدرسة وحمام وضريح مضاف وصاحبة هذه الكلية ماهبرى خاتون زوجة السلطان كيقباد الأول (المليجى،1980)، وكلية حاجى قليج بقيصرية وهى ثانى كلية معمارية لسلاجقة الأناضول بقيصرية، وتشتمل على مسجد ومدرسة قام بتشيدها الأمير أبو القاسم الطوسى أحد أمراء السلطان كيقباد الأول (647هـ / 1249م) (فهيم،2013)، وكلية صاحب عطا بآقشهير (648هـ/ 1250م) شيدها الوزير فخر الدين صاحب عطا كانت تشتمل على مسجد ومدرسة وضريح (فهيم،2013)، وكلية صاحب عطا بقونية (656- 680هـ / 1258- 1282م)، وصاحب عطا هو الوزير السلجوقى الأشهر أبو المعالى فخر الدين بن الحسين، وتتكون الكلية من مسجد وخانقاة وتربة (صادق،2015)؛ حيث أضيف إليها عام (682هـ/ 1283م) ضريح وخانقاة كما كان ملحقًا بها سبيل يقع على يمين الداخل لهذا المسجد (فهيم،2013)، وكلية جلال الدين الرومى بقونية (672 – 673هـ/ 1273- 1274م) (صادق،2015)، وكلية حاجى بكتاش ولى بقير شهر (بداية الربع الأخير من القرن 7هـ / 13م) (صادق،2015).

علاوة على التقليد السلجوقى فقد استمرت الإنشاءات الجديدة للكليات المعمارية **خلال فترة "الإمارات التركمانية"**، ومن الأمثلة: كلية أشرف أغلو فى بيشهير (1297- 1300م)، وكلية سيد هارون فى سيديشهير (1297- 1320م)، وكلية عاشق جلبى فى مانيسا (1366- 1378م)، وكلية إلياس بيك فى بلاط 1404م، وكلية إبراهيم بيك فى كرمان (1426- 1462م)(ÇOBANOĞLU, 2002) .

أما إذا انتقلنا إلى العصر العثمانى الذى يمثل فترة ازدهار الكليات المعمارية، فنجد استمرار الزيادة فى عدد الكليات خلال **العصر العثمانى**، مع التوسع فى عدد الأبنية عن الأمثلة المذكورة أعلاه؛ وذلك بفضل الأوقاف الضخمة التى أوقفها السلاطين والوزراء والأمراء ونسائهم على هذه الكليات المعمارية، حيث ساعدت على استمرار الكليات المعمارية فى تأدية وظائفها فترة طويلة، ومن الأمثلة عليها:

نجد فى القرن (8هـ/ 14م)؛ كلية أورخان غازى فى أزنيق عام (1334- 1335م)، وتتكون من مسجد وعمارت وحمام وتعد أقدم كلية فى العصر العثمانى (Kuran, 1979)، وكلية أورخان غازى ببورصة عام 13339م، وتتكون من مسجد وحمام يعد أقدم حمام عثمانى **(شكل13)**، وكلية السلطان مراد الأول (خداوندكار) فى بورصة عام (1365- 1385م)، وتتكون من طابقين الدور الأول مسجد والطابق الثانى مدرسة، كلية السلطان بايزيد الأول (يلدريم) فى بورصة عام (1390- 1396م)، وتتكون من مسجد وتابخانة ومدرسة وعمارت وقصر وتربة للمنشئ، وكلية يشيل جامع أنشأها السلطان محمد جلبى ببورصة عام (1424- 1426م)، وتتكون من مسجد وتابخانة وتربة ومدرسة وعمارت وحمام، وكلية المرادية التى بناها السلطان مراد الثانى فى بورصة عام (1424- 1426م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وعمارت وتربة، وكلية السلطان مراد الثانى بأدرنة عام (1437- 1447م)، وكلية السلطان بايزيد الثانى فى أدرنة عام (1484- 1488م)، وتتكون من مسجد ومدرسة ودار الشفاء وعمارت وقنطرة.

وفى القرن (9هـ/ 15م)؛ كلية السلطان محمد الفاتح بإستانبول (1463- 1470م)، وتتكون من مسجد وثمانى مدارس وتابخانة وعمارت ومستشفى وكرفانسراى ومدارس ابتدائية ومكتبة وحمام، وكلية روم محمد باشا بأسكودار (876هـ / 1471م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وحمام وعمارت وتربة، وكلية محمود باشا (1463- 1473م)،

وكلية مراد باشا (1471- 1477م)، وكلية الخاتونية بتوقات (890هـ/ 1485م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وعمارت، وكلية السلطان بايزيد الثانى بأماسيا (1481- 1486م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وعمارت ومكتب صبيان وقنطرة، وكلية السلطان بايزيد الثانى بأدرنة (1484- 1488م)، وتتكون من مسجد ومدرسة ودار الشفاء وعمارت وقنطرة.

وفى القرن (10هـ/ 16م)؛ كلية السلطان بايزيد الثانى بإستانبول (1501- 1507م) وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتب صبيان وعمارت وحمام وتربة، وكلية الخاتونية فى طرابزون 1514م، وكلية سليم الأول بإستانبول 1522م، وكلية حفصة سلطان فى مانيسا 1523م، وكلية سنان باشا فى أفيون 1525م، وكلية خسرو باشا فى سراييفو 1530م، وكلية خاصكى خرم فى إستانبول (1539-1538م)، وتتكون من مسجد ومكتب صبيان وعمارت ومستشفى **(شكل14، 15)**، وكلية الخسروية فى حلب (953هـ/1546م)، وكلية مهرماه سلطان فى إسكودار باستانبول (954هـ/1547م)، وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتب صبيان وعمارت **(شكل16)**، وكلية شهزاده محمد باستانبول (955هـ/1548م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وعمارت ومكتب صبيان وتابخانة وتربة**(شكل17)**، وكلية رستم باشا بإستانبول (957هـ/ 1550م)، وتتكون من مسجد وحمام ومدرسة، وكلية السليمانية بدمشق (962هـ/ 1554م).

وكلية سنان باشا فى بشكطاش (963هـ/ 1555م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وحمام، وكلية السلطان سليمان القانونى باستانبول (964هـ/ 1557م)، وتتكون من مسجد وتربة ودار للقراء ودار للحديث ومدرسة وسوق ومكتب للصبيان ومدرسة طب وعمارت وكرفانسراى وحمام، وكلية قره أحمد باشا فى طوبقابى (979هـ/ 1571م)، وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتب صبيان وتربة، وكلية صوقللو محمد باشا فى قادرغا عام (979هـ/ 1571م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وتكية وسبيل، وكلية السلطان سليم الثانى بأدرنة عام (1569- 1575م)، وتتكون من مسجد ومدرسة ودار الحديث وسوق، وكلية شمسي أحمد باشا بأسكودار (988هـ /1580م) تتكون من مسجد ومدرسة وتربة.

كلية عتيق والدة بإسكودار(991هـ / 1583م)، وتتكون من المسجد والمدرسة والتكية ودار الشفاء ودار القراء والعمارت والتابخانة وكرفانسراى والحمام **(شكل18)**، وكلية قليج على باشا بإستانبول (1580- 1581م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وحمام وتربة، وكلية ينى والدة (صفية والدة سلطان) بأمينونو (1597م) وتتكون من مسجد ومستشفى وسوق كبير ومكتب صبيان وحمام وسبيلان ومؤقت خانة وتربة **(شكل19)**.

وفى القرن (11هـ/ 17م)؛ وكلية السلطان أحمد بإستانبول (1609 – 1619م)، وتتكون من مسجد ومدرسة وتربة ومستشفى وكرفانسراى ومكتب صبيان وعمارت وسوق، وكلية الصيني (شينلي) بأسكودار (1050هـ / 1640م)، وتشتمل على المسجد والمدرسة ومكتب الصبيان والجشمة وحمام مزدوج.

وفى القرن (12هـ/ 18م)؛ وكلية يني والدة "أمة الله" بإسكودار(1122هـ/1710م) تتكون من مسجد وتربة ومكتب الصبيان وسبيل ومؤقت خانة وجشمه وعمارت، **و**كلية الأحمدية بإسكودار (الحاج أحمد أمين زاده) 1722م، وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتبة وسبيل وجشمة، وكلية نور عثمانية بإستانبول بدأها السلطان محمود الأول عام 1748م، وأكملها ابنه ثم حفيده عثمان الثانى عام 1755م، وتتكون من مسجد ومدرسة ومكتبة وتربة وسبيل **(شكل20)**، وكلية مهرشاه سلطان والدة السلطان سليم الثالث فى أيوب 1794م وتتكون من مسجد وتربة وسوق وعمارت وسبيل وجشمة، ومسجد أياظمة (1174هـ / 1760م)، وكلية بيلربيك (1192هـ / 1778م).

وفى القرن (13هـ/ 19م)، مسجد السليمية (1220هـ/ 1805م)، ومسجد نصرتيه للسلطان محمود الثانى بإستانبول (1822- 1826م)، ومسجد أورطاكوى للسلطان عبد المجيد الأول بإستانبول1854م، ومسجد دولمه باغجه لوالدة السلطان عبد المجيد الأول 1855م.

ومما سبق يمكن القول إن أول ظهور لهذه الكليات المعمارية يرجع إلى عصر سلاجقة الأناضول إلا أنها اكتسبت خصائصها الكاملة فى العصر العثمانى، ويؤكد على هذا ما ذكره **"إتنجهاوزن"** أن القرن (7هـ/ 13م) شهد بناء الكليات المعمارية الضخمة، ذات الأغراض المتعددة، والتى ظلت تتطور حتى وصلت إلى شكلها المذهل فى العصر العثمانى (Ettinghausen, 2001).

أضف إلى ذلك أنه على الرغم من كون نظام الكليات المعمارية التى تقوم بأكثر من وظيفة وتخدم أكثر من غرض قد عرفته العمارة الإسلامية قبل العصر العثمانى وتوجد أروع نماذجها فى العمارة السلجوقية والمملوكية، فإن الكليات فى العصر العثمانى تنفرد عن سابقتها بطابعها المميز وخصوصيتها المتفردة غير المسبوقة.

حتى إن الكليات العثمانية نفسها قد مرت بعدة مراحل تطور فنجد مبانى الكليات العثمانية المبكرة مشيدة جنباً إلى جنب دون السعى للحصول على ترتيب هندسى، وفى الأغلب بدون سور يحيط بها(Serkan, 2017)، بينما تميزت كليات الفترة الكلاسيكية بالتصميم الهندسى المتطور بفضل المعمارى سنان (Abdulkadir, 2003)، فتم ترتيب المبانى بشكل متماثل مثل كلية الفاتح بإستانبول أو ترتيب مركزى منسجم مع التضاريس مثل كلية شهزاده محمد بإستانبول(Serkan, 2017). أما بالنسبة لكليات فترة التدهور والأزمات الاقتصادية والتغير الاجتماعى والثقافى تميزت بقلة عدد الأبنية حتى تكاد تقتصر على المسجد؛ وهذا يرجع للتدهور الاقتصادى علاوة على قيام الكليات القديمة بدورها ووظائفها فلا حاجة إلى كليات جديدة، وهذا ما حدث فى مصر خلال العصر العثمانى فعلى الرغم من طول هذه الفترة إلا أننا نجد مدرستين فقط ترجعان للعصر العثمانى؛ المدرسة السليمانية بالقاهرة والمدرسة المحمودية بالحبانية.

خامسًا: وظائف الكلية:

1 – وظيفة دينية:

مما لا شك فيه أن الكليات المعمارية قامت بوظائف دينية متعددة من خلال المنشآت التى تحتويها مثل المسجد والمدرسة والتكية، فكان إنشاء المساجد والعناية بها من أكبر مظاهر الطابع الدينى الذى اصطبغت به الدولة الإسلامية؛ حيث غدت المساجد تجسيداً للروح الإسلامية والفن المعمارى الإسلامى؛ إذ هو أقدس البقاع فى الأرض، والاهتمام بعمارته كان إحدى الوسائل المهمة للتقرب إلى الله عزوجل (عبد الدايم،1989).

لذا رصد السلاطين الاعتمادات المالية الضخمة لبناء هذه العمائر وترميمها مراعاة منهم للشعور الدينى الغالب على رعاية الدولة، والرغبة فى كسب الثواب من الله عز وجل فى نفس الوقت، ويعزو البعض سبب هذا الاهتمام إلى ناحية سياسية كان القصد منها اكتساب قلوب الرعايا والتمسك بالدين، وكسب ود الناس عن طريق الدين حيث التفوا حول مشايخ الصوفية الذين أدَّوْا دوراً كبيراً في الدولة؛ ومن ثم تنافس السلاطين فيما بينهم في إقامة الكليات، ولم يكن سبب هذا التنافس حاجه ملحة إليها بقدر ما كان الهدف هو اكتساب قلوب الشعب عن طريق الدين مثل المماليك فى مصر(الشناوى،1980). كما كان ينظر لإقامة الحمامات على أنها نوع من القربى إلى الله تعالى فقد فتحت الحمامات أبوابها للفقراء قبل الأغنياء، وكانت الخدمات تُقدَّم مقابل أجر رمزى مثل حمام السلطان مراد الأول ببورصة (791هـ/ 1389م)، بينما تعد العمارت من أروع الأبنية التى تضمها الكليات التى تقدم الخدمات بالمجان للفقراء والمسافرين.

2 ـ وظيفة اجتماعية:

كان الغرض الأساسى من إنشاء الكليات المعمارية تلبية حاجات المجتمع سواء الفردية أو الجماعية؛ فالمسجد فى نظر الإسلام ليس مكانا للعبادة فقط، بل هو مكان تنطلق منه الدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فهو

ينهض برسالة التثقيف والتنوير، ونشر الوعى الدينى السليم، وكذلك الحمامات التى كثر إنشاؤها فى المدينة الإسلامية تلبية لحاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر، وعدم قدرة العامة جميعاً على تضمين منازلهم حمامات خاصة، علاوة على رغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات فى استثمار أموالهم فى إنشائها لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها، وتوفير الراحة النفسية والتواصل الاجتماعى(عبد الستار،1978).

بالإضافة لما سبق فقد شكلت الكليات مراكز تعليمية ومنظمات خيرية ضمن التكافل الاجتماعى، متمثلة فى وحدة العمارت التى تكفل إطعام الفقراء والغرباء، وحدة المدرسة التى تضمن تعليم أبناء المجتمع وإخراج كوادر بشرية مثقفة ومؤهلة لقيادة الدولة وتقدمها، ووحدة المستشفى التى تقدم الرعاية الصحية للمجتمع من خلال علاج المرضى، والوحدات التجارية من محلات وخانات لتوفير متطلبات الحياة اليومية. أضف إلى ذلك أنه تم بناء الكليات داخل نظام الوقف من قبل القوى السياسية والاقتصادية، من أجل تلبية احتياجات المجتمع وخاصة من الحكام وعائلاتهم، على أساس أن هذا الواجب لم يكن مسئولية الدولة؛ لذا فإن الكليات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالوقف والوظائف التى تؤديها مع الدخول التى توفرها الأوقاف لها، ومن هنا أصبحت الكليات هى النواة الاجتماعية للمدينة (Serkan, 2017). مما صار هناك علاقة وطيده بين الحى السكني وحجم الكلية والوظائف التي تقوم بها.

كما مثلت الكليات أحد الأماكن النادرة التى يجتمع فيه الحاكم برعاياه؛ حيث يعتبرونها أماكن يمكن للعامة رؤيتهم فيها، ومن ناحية أخرى وجدها الناس فرصة لنقل مشكلاتهم إلى الحاكم، علاوة على ذلك تعتبر الأفنية التى تتخلل أبنية الكليات بمثابة أماكن للتنزه العامة، كما يعبر المسئولون فى الدولة عن وجودهم من خلال التقائهم العامة فى هذه الأفنية.

3 – وظيفة اقتصادية:

قامت الكليات بوظيفة اقتصادية باحتوائها على منشآت تجارية مثل الأسواق والخانات التى تعمل على الرواج الااقتصادى للدولة بصفة عامة والمدينة بصفة خاصة نتيجة لعملية التبادل التجارى التى تحدث بداخلها، كما كانت الكلية سبباً فى قيام التجمعات الحضرية الناتج من حدوث التبادل التجارى خاصة فى المناطق الواقعة بين المدن؛ حيث تعد الكلية بمثابة مشروع تطوير حضرى للمدن، والعامل الرئيسى في تشكيل أحيائها حيث كانت نقطة التوقف المحورية أو بوابة الدخول فى شبكة النقل بين المدن(Serkan, 2017).

وكذلك كانت الحمامات توقف على منشآت دينية وغيرها من الأغراض الخيرية فى إطار نظام الوقف الإسلامى؛ حيث حرص مشيدوها على ضمان دخول ثابتة لمنشآتهم الدينية والخيرية عن طرق ريع تلك الحمامات عليها، كما كان أحد أسباب كثرة الحمامات رغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات فى استثمار أموالهم فى إنشائها؛ وذلك لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها.

والجدير بالذكر أن الكليات قامت بوظيفة تعبيرية اقتصادية من خلال انعكاس الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذى أنشئت من أجله، ويمكن استنتاج ذلك عن طريق رصد التغيرات التى حدثت عليها؛ فنجد الكليات الضخمة من حيث الحجم وعدد الأبنية أنشئت فى الفترات التى كان فيها الوضع الاقتصادى قويًّا، أما الكليات الصغيرة فى الحجم وعدد الأبنية فقد أنشئت فى فترات كان الوضع الاقتصادى ضعيفًا(Gönül, 2018). كما عبرت الكليات عن الحالة الإقتصادية للمنشئ ومكانته الاجتماعية من خلال حجمها وخدماتها وموقعها.

4 – وظيفة سياسية:

تعد المنشآت المعمارية من الرموز المهمة المستخدمة وسيلةً من وسائل الدعاية السياسية؛ لذا فبناء معظم هذه الكليات لم يكن دائما تلبية لحاجة المجتمع، بل تحكمت فى وجودها عوامل أخرى مثل الدعاية السياسية. ومما يدل على ذلك موقع هذه الكليات الذى يُختار بعناية، وحجم هذه الكليات التى ترمز إلى منشئها، وعلى رأسها السلطان حيث شيدت المئات من المبانى والمرافق العامة لتذكر رعايا الدولة بأفضال الأسرة الحاكمة، ومما يدل على استخدام العمارة وسيلةً من وسائل الدعاية السياسية دأب الأسرة العثمانية الحاكمة على مر العصور على ترسيخ وجودها فى مدينتى مكة والمدينة المنورة لإثبات مكانتها بوصفها حامية للمقدسات الإسلامية دون منازع؛ حيث كانت من حين لآخر تقوم بترميم الحرم الشريف وتجديده، حيث عدت ذلك واجباً عليها، كما عملوا على تأمين الحجاج وإنشاء طرق لهم(كوارترت،2004). كما كانت الكليات المعمارية التى بنيت فوق تلال إستانبول بمثابة "رموز النصر" التى شيدها السلاطين العثمانيين كتذكار للفتوحات التاريخية التى قاموا بها وللفترة التى حكموا فيها (ثابت،2011). وكذلك الوزراء الأثرياء والأعيان الذين كانوا ينفقون على المؤسسات الصحية والتعليمية والمرافق العامة لخدمة المجتمع. ولعل هذه الأعمال الخيرية لم تكن فقط من باب الإحسان، بل كانت أيضاً لضمان ولاء رعايا الدولة للأسرة العثمانية، ولكسب تأييد عامة المجتمع (كوارترت، 2004).

ومما يؤخذ فى عين الاعتبار أن تشييد الكليات ظل حتى أوقات ضعف الدولة. ولم يقتصر بنائها على السلاطين، بل وجد غيرهم من كبار رجال الدولة ونساء القصر؛ مما يشير إلى أن الأمر ليس للتقرب إلى الله فقط، بل للدعاية السياسية والتقرب إلى الشعب. ولا سيما قيام بعضهم بأعمال الشر والفساد مثل (رستم باشا)، بل إن مراعاتهم للأماكن المقدسة أكبر دليل على أنهم يريدون التقرب إلى الشعب، والدليل على ذلك أنه لا يوجد سلطان عثمانى حج لبيت الله الحرام.

كما أنه يمكن ملاحظة كثرة منشآت المرأة؛ حيث تعد أول كلية معمارية شيدت فى بلاد الأناضول خلال العصر السلجوقى على يد امرأة، هى الملكة السلطانة "ماه برى خاتون"(٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨م)، وهى زوجة السلطان علاء الدين كيقباد الأول، وأم السلطان كيخسرو الثانى، وصارت المرأة فى العصر العثمانى مثل المرأة السلجوقية فى بلاد الأناضول التى شاركت فى إنشاء جميع أنواع العمائر الإسلامية، مثلها فى ذلك مثل الرجل تمامًا، فشيدت الجوامع والمدارس والأضرحة والزوايا والبيمارستانات والأسبلة والخانات وغيرها من المنشآت، ومشيدات العمائر كنَّ من السلطانات أو الملكات أو أمهات السلاطين أو زوجات السلاطين أو من أمهات الأمراء، أو من الحاشية السلطانية (فهيم،2015). ولعل ذلك يرجع لدورها السياسى والإقتصادى وقوتها فى تلك الفترة، وإنعكاس الواقع السياسى الذى تعيشه الدولة فى تلك الفترة على حركة العمران، ففى الفترة التي شهدت تدخل حريم القصر من أمهات السلاطين وزوجاتهم فى شئون الحكم، كشفت نساء القصر عن شوكتهن من خلال إقامة الكليات المعمارية؛ ومن تلك النساء **"ماهبرى خاتون"** زوجة السلطان علاء الدين كيقباد الأول، وأم السلطان كيخسرو الثانى، و**"روكسلانه"** زوجة السلطان سليمان القانونى، و**"مهرماه سلطان"** ابنة السلطان سليمان القانونى، و**"نوربانو سلطان"** زوجة السلطان سليم الثانى، والسلطانة **"كوسم"** زوجة السلطان أحمد الأول، و**"كولنوش والدة سلطان"** أم السلطان أحمد الثالث.

علاوة على ذلك فإن أغلب الكليات تحتوى بداخلها تربة للمنشئ رغبة فى تخليد ذكراه ونيل الثواب والدعاء له من خلال تذكير الناس بأعمالهم الخيرية وانتصارتهم الحربية، كما ترمز هذه الكليات إلى سيادة أصحابها وتفوقهم على الأرض التى تقع عليها من حيث الطراز والسلطة مثل كلية السلطان محمد الفاتح بإستانبول التى بنيت بدلاً من كنيسة الرسل البيزنطية(YÜKSEL, 2014). كما عبرت الكليات المعمارية عن القوة السياسية للدولة ليس فقط أمام

الرعايا العثمانيين بل أمام العدو الأوربى المترقب دائماً للدولة العثمانية، مثل كلية شهزاده محمد والسيلمانية بإستانبول فى عهد السلطان سليمان القانونى.

وأخيراً يمكن القول أن بناء الكليات المعمارية فى مختلف أقاليم الدولة ليس تلبية لحاجة المجتمع الوظيفية، بل كان بغرض التنمية ودعم الأمن والازدهار والنمو الحضارى خاصة فى البلاد المفتوحة حديثًا (YÜKSEL, 2014).

الخلاصة:

بعد العرض السابق لتعريف الكلية ونشأتها وتطورها ووظائفها، يمكن توضيح ما توصلت إليه الدراسة فى النقاط التالية:

حددت الدراسة تعريفًا شاملًا لمصطلح الكلية ونشأتها، وأوضحت العلاقة بين الكلية والمنشئ ومدى تأثرها بحالته الاقتصادية ومكانته الاجتماعية، ثم بينت أن مرافق الكلية يختلف عددها ووظائفها باختلاف موقعها ووقتها ومنشئها.

رصدت الدراسة مراحل تطور الكلية فكانت الأرهاصة الأولى التى انطلقت منها نشأة الكلية عند إلحاق الضريح بمنشأة أخرى كالمسجد أو المدرسة أو دار الشفاء، كما أكدت أن البداية الفعلية لنشأة الكلية المعمارية كمجمع معمارى يخدم أغراض وظيفية متعددة يرجع إلى بلاد الأناضول فى العصر السلجوقى متمثلة فى كلية خواند خاتون بقيصرى (636هـ/ 1238م). ثم أكدت كذلك أنه على الرغم من ظهور الكلية لأول مرة خلال العصر السلجوقى إلا أنها اكتسبت خصائصها الكاملة، وبلغت قمت تطورها خلال العصر العثمانى.

أوضحت الدراسة الوظائف التى تقوم بها الكلية ما بين وظائف دينية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية، ومدى تعدد الأغراض من إنشاء الكلية حيث كان الهدف من إنشائها رفع مستوى المعيشة وإثراء المدينة، التوسع الثقافى فى الأراضى المفتوحة، تنشيط حركة العمران عن طريق الأوقاف الموقوفة عليها من خلال الكليات نفسها، تعزيز الهيكل الإقتصادى والإجتماعى للمدن، توفير مراكز جديدة فى المدن التى على الطرق التجارية، تحديد حجم وإتجاه التنمية ووضع المدن لتلبية الإحتياجات العامة للمدينة مثل التعليم والصحة والعبادة والسكن والغذاء، التأكيد على القوة السياسية للمنشئين وتحقيق رغبتهم فى تخليد ذكراهم ونيل الصواب وإخراج الصدقات التى حث عليها الدين الإسلامى، وتعد عاملًا مساعدًا على تقييم التفاعل الإجتماعى؛ نظراً لكونها نقطة التقاء الأشخاص على مختلف مستوياتهم الثقافية والإجتماعية.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- المقريزى (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت 845هـ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، ج2، 1987م، ص405.

الكتب المعربة:

- أوقطاى آصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، إستانبول، 1987م، ص337.
- دونالد كوارترت : الدولة العثمانية (1922-1700م)، مكتبة العبيكان، الرياض, 2004م، ص181، 184.

المراجع العربية:

- أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى مصر منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى (21-923هـ/ 641 – 1517م)، دار الفكر العربى، ط1، 2009م، ص 183، 203، 232.
- عبد العزيز محمد الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جزء 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص54.
- فهيم فتحى إبراهيم: العمائر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكى، دراسة مقارنة لأساليب التخطيط، المكتب العربى للمعارف والنشر ،ط1 ،2013م، ص90، 101، 120.
- ك .كريزويل: الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبلة عبد الهادى، دار قتيبة، دمشق، 1984م، ص 16، 18.
- كمال الدين سامح: تطور القبة فى العمارة الإسلامية ،مطبعة جامعة فؤاد الاول ،1950م، ص23.
- محمد حمزة الحداد: العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية، مج1، جامعة الكويت، ط1، 2002م، ص229.
- محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2000م، 101- 103.
- المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، 1978م، ص 221.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ص263.

الرسائل:

- أحمد حلمى صادق: منشآت التصوف الباقية بوسط الأناضول خلال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى "دراسة آثارية معمارية "، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة قنا، 2015م، ص226، 271، 343، 460، 461.
- على محمود سليمان المليجى: الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط،1980م، ص176.
- محمد سيف النصر أبو الفتوح: منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج ،جامعة أسيوط ، 1980م، ص389.
- محمود السيد محمد محمد: المساجد العثمانية الباقية فى ضاحية إسكودار بإستانبول فى الفترة (752 - 1223هـ / 1352 - 1808م)، دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة سوهاج، 2018م، ص61.
- نادر محمود عبد الدايم :التأثيرات العقائدية فى الفن العثمانى , رسالة ماجستير ،كلية الآثار ،جامعة القاهرة, 1989م، ص150.
- ناصر ثابت أحمد: بنية الفراغ الداخلى فى المساجد العثمانية حالة دراسية " مساجد المعمار سنان"، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، 2011م، ص61.
- هالة محمد أحمد: عمائر مدينة قيصرى إبان عصر سلاجقة الروم، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان، كلية الآداب، 2015م، ص92، 225.

الأبحاث:

- أسماء محمد إسماعيل: التأثيرات السورية على العمارة التركية في بلاد الأناضول حتى نهاية العصر السلجوقى، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد14، 2013م، ص4، 7.
- سعاد محمد ماهر :تطور العمارة الإسلامية بتطور وظائفها ,مستخرج من المجلة التاريخية المصرية , مج 18، 1971م، ص55.

- فهيم فتحى إبراهيم: منشآت المرأة فى العصر السلجوقي فى بلاد الأناضول، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد السادس عشر، القاهرة، 2015م، ص291، 329.

المراجع الأجنبية:

- Vakfiye 2113 no. lu defterin 179. sayfasında 32.p, 181.
- Abdulkadir DÜNDAR: Bir Belgeye Göre Amasya II. Bayezid Külliyesi, AüİFD Cilt XLIV, 2003, p, 33.
- AHMET VEFA ÇOBANOĞLU: KÜLLİYE, İslâm Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ankara , cilt, 26, 2002, p, 542, 543.
- Aptullah Kuran: The Mosque in Early Ottoman Architecture, the university Chicago and London, 1971, p, 17.
- 15. ve 16. Yüzyıllarda İnşa Edilen Osmanlı Külliyeleri'nin Mimari Esasları Konusunda Bazı Görüşler, i. Milletlerarası Türkoloji kongresi, İstanbul: İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Türkiyat Enstitüsü, cilt: 3, 1979, p, 795- 813.
- Çağla CANER YÜKSEL: AYDINOĞULLARI'NDAN OSMANLI'YA TİRE KÜLLİYELERİ, 14 – 16 YÜZYILLAR, Hacettepe Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi, 2014, p, 7, 8, 44.
- Ettinghausen, Grabar, Jenkins: The Art and Architecture of Islam 650- 1250, Yale University press, 2001, p, 240.
- Feridun Akozan : Türk Külliyeleri. Vakıflar Dergisi, 8, 1969,p,303.
- Godfrey Goodwin: A History of Ottoman Architecture, Thames and Hudson Ltd, London, 1971, p, 459.
- Gönül Cantay: Türk Mimarisinde Külliye, Altayli May 15, 2018, p, 1, 2, 4.
- İpekoğlu Basak: Buildings with Combined Functions in Anatolian Seljuk Architecture, An Evaluation of Design Principles, Past and Present Functions, Yayımlanmamış Doktora Tezi, Orta Teknik Üniversitesi,Ankara, 1993, p, 54, 55, 61.
- Rafee Hakky : The Ottoman Külliye between The 14th and 17th Centuries, Its Urban Setting and Spatial Composition, Ph.D , Virginia Polytechnic Institute and State University, 1992, p, 10 .
- Serkan Sinmaz: Külliyelerin Mekansal Tasarımı, Anadolu'da Külliyelerin Gelişim Süreci ve Kentsel Tasarım Kurgusu, Journal of Urban Academy, Volume: 10, 2017, p, 382, 388.
- https://archnet.org.

الأشكال:

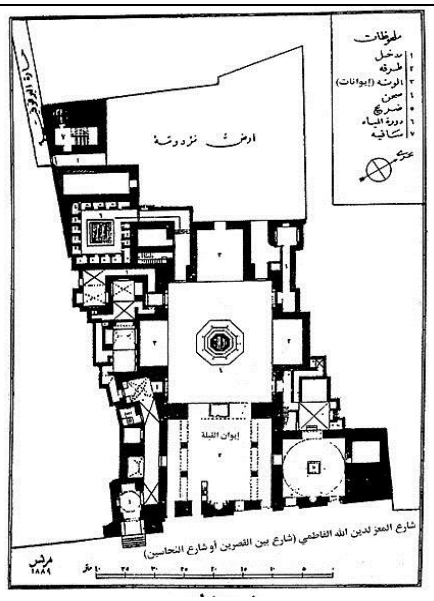

(شكل1) مسقط أفقى لمجموعة السلطان برقوق بالنحاسين عن: أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية،ص 319.

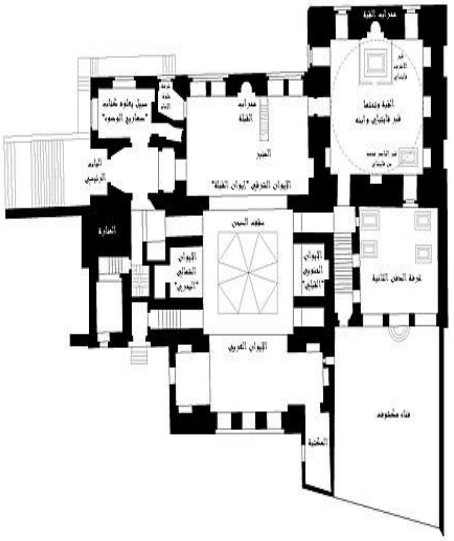

(شكل2) مسقط أفقى لمجموعة السلطان قايتباى بالصحراء عن: أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية، ص 378.

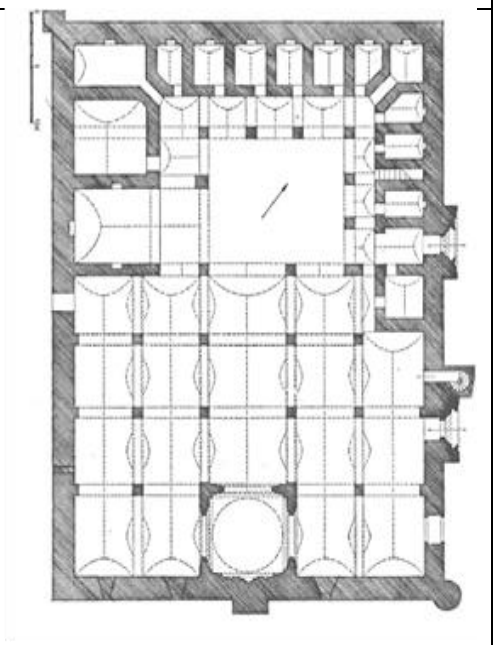

(شكل3) مسقط أفقى لمسجد ومدرسة حاجى قيليج بقيصرى عن: آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، ص 85.

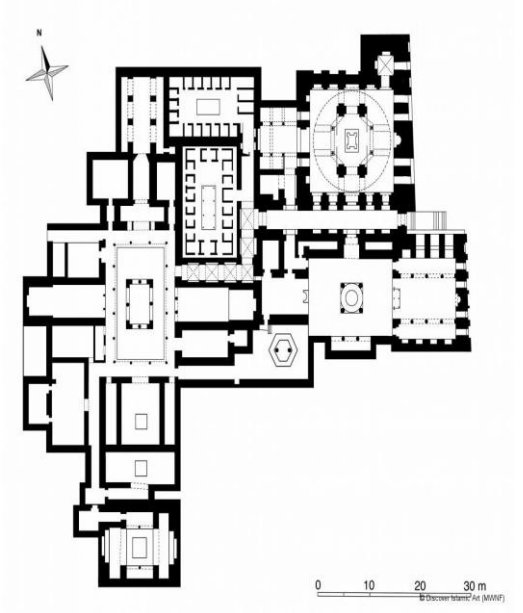

(شكل4) مسقط أفقى لمجموعة السلطان المنصور قلاوون بالنحاسين عن:أحمد عبد الرازق: العمارة الإسلامية، ص 234.

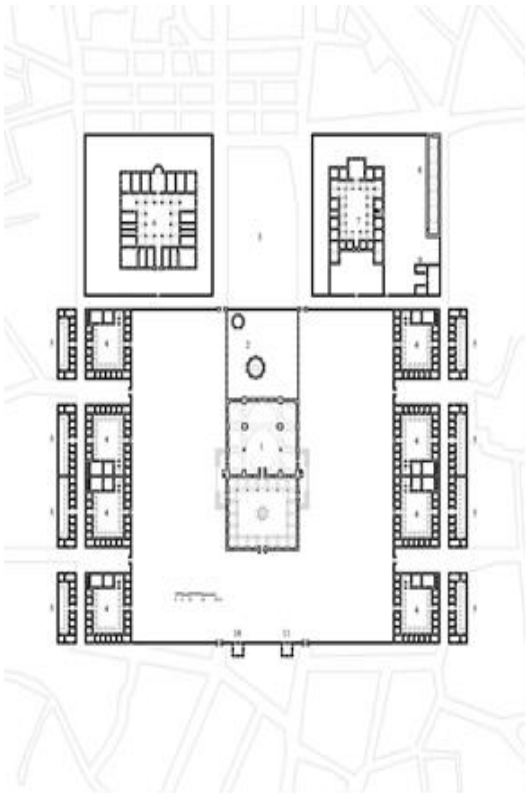

(شكل5) مسقط أفقى لكلية السلطان محمد الفاتح عن:
http://sarchnet.

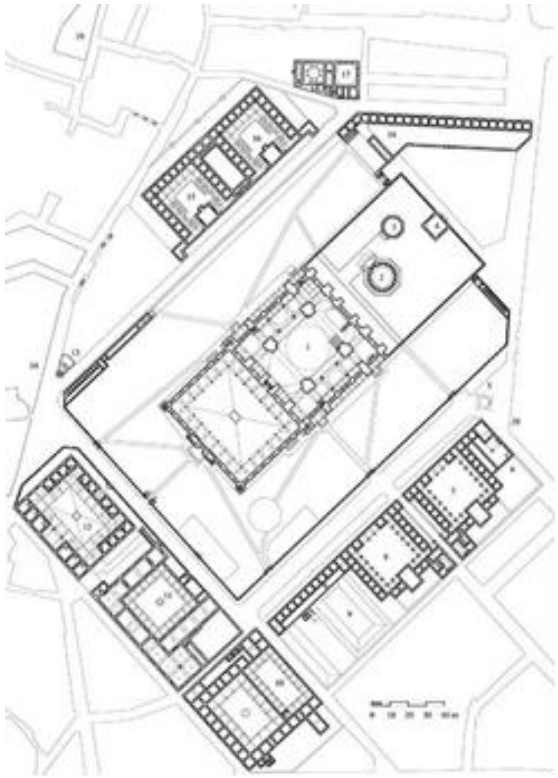

(شكل6) مسقط أفقى لكلية السلطان سليمان القانونى بإستانبول عن:.http://archnet

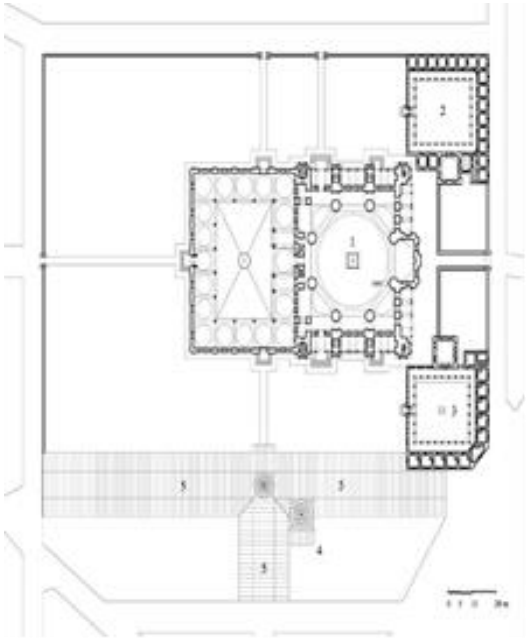	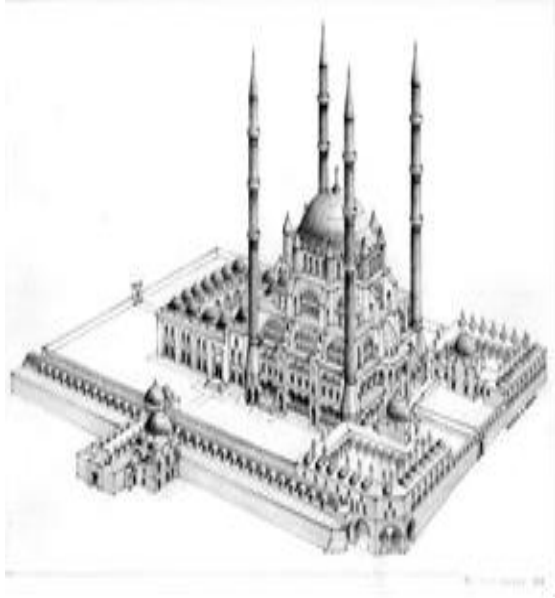
(شكل7) مسقط أفقى لكلية السلطان سليم الثانى بأدرنة عن: .http://archnet	(شكل8) منظور لكلية السلطان سليم الثانى بأدرنة عن: http://archnet.

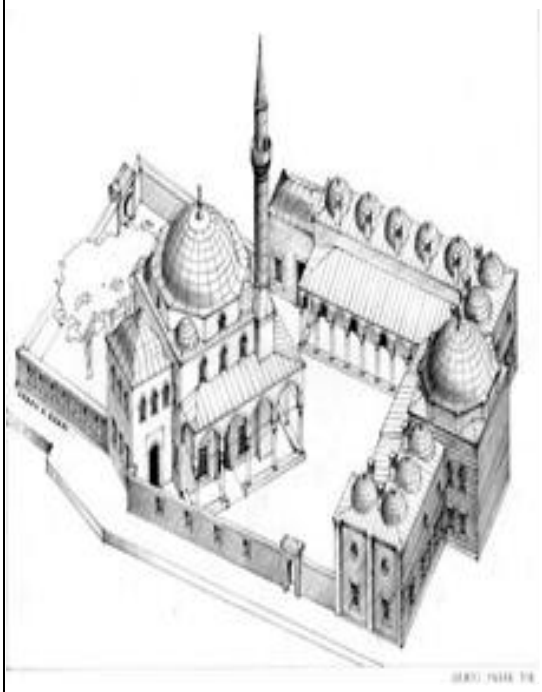

(شكل9) مسقط أفقى لكلية شمسى باشا بأسكودار عن:
http://www.istanbuldaki Camiler

(شكل10) مسقط أفقى لبيمارستان ومدرسة جوهر نسيبه سلطان بقيصرى عن: آصلان آبا: فنون الترك، ص 102.

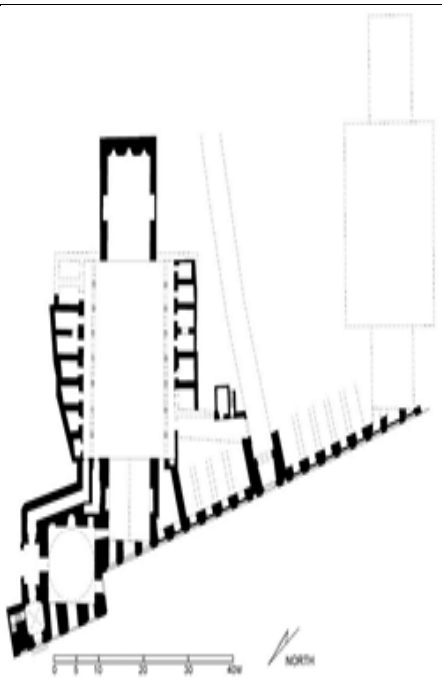	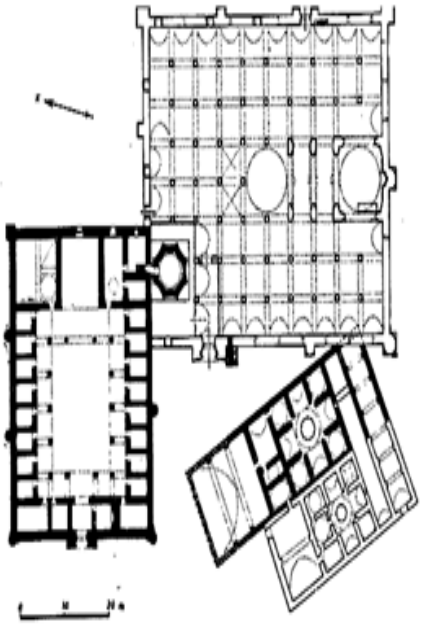
(شكل11) مسقط أفقى للمدرسة الصالحية بالنحاسين عن: http://scivilizationlovers.	(شكل12) مسقط أفقى لكلية كلية خواند خاتون فى قيصرى عن: آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم ص 84.
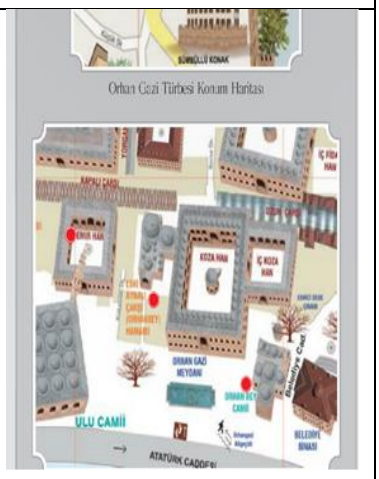	
(شكل13) مسقط أفقى لكلية أورخان غازى ببورصة عن: İSMAİL SERCAN: OSMANLI DEVRİ BURSA, p, 40.	(شكل14) مسقط أفقى لكلية خاصكى خرم بإستانبول عن: http://sarchnet.

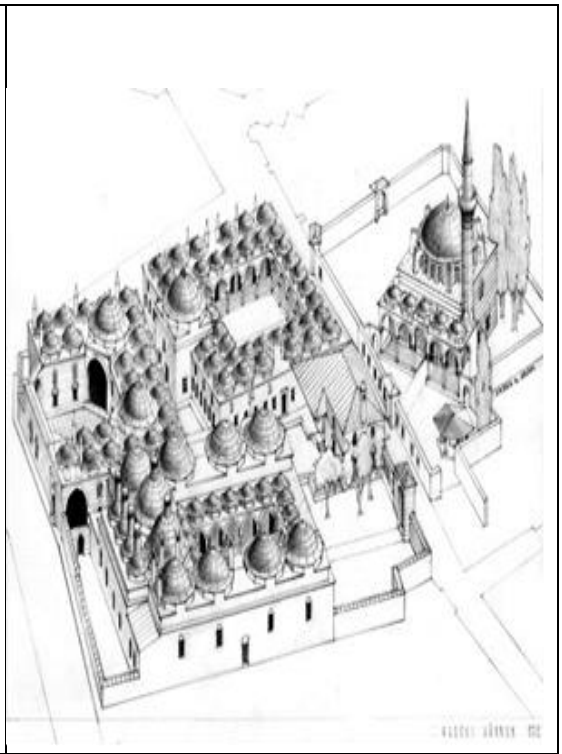

(شكل15) منظور لكلية خاصكى خرم بإستانبول عن:

http://sarchnet.

(شكل16) منظور لكلية مهرماه سلطان بأسكودار عن:

http://archnet.

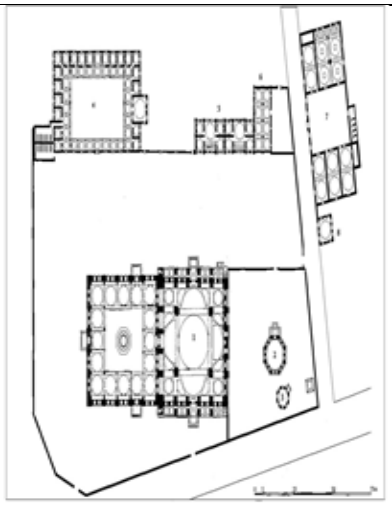

(شكل17) مسقط أفقى كلية شهزاده محمد بإستانبول عن:

http://archnet.

(شكل18) منظور لكلية عتيق والدة بإسكودار عن:

http://archnet.

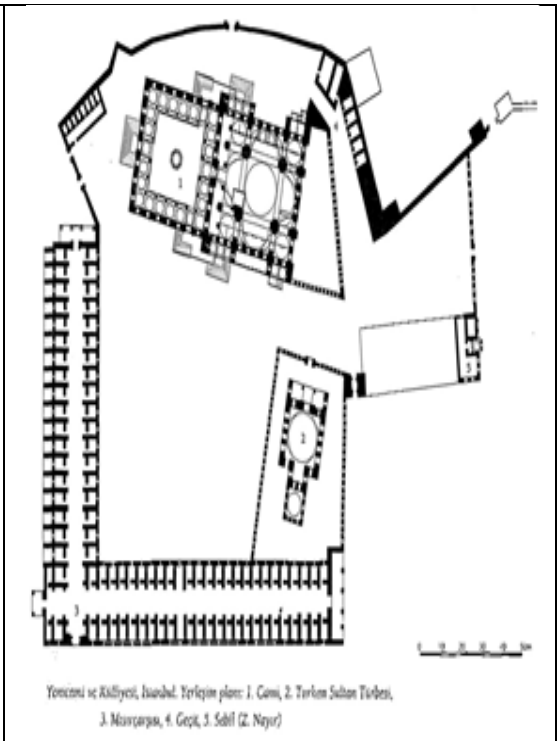	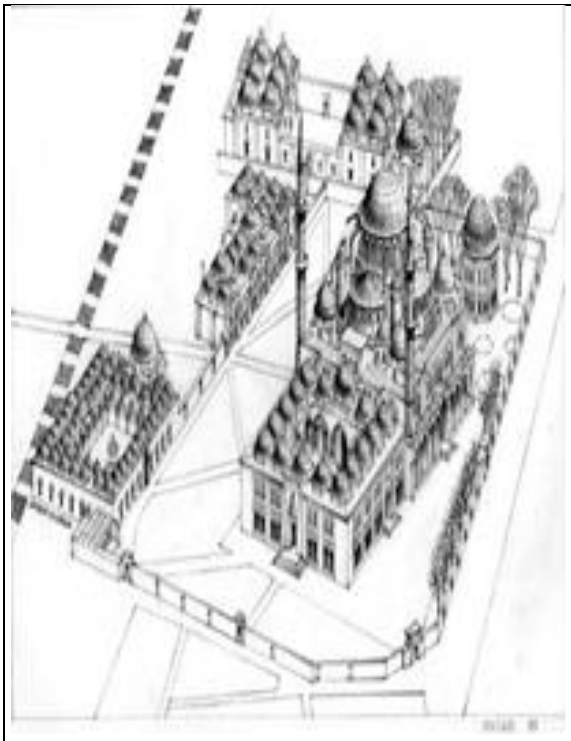
(شكل19) مسقط أفقى لكلية ينى والدة (صفية والدة سلطان) بأمينونو عن: http://archnet.	(شكل20) منظور لكلية نور عثمانية بإستانبول عن: http://archnet.